

## مو حزن.. لكن حزين

(مو حزن.. لكن حزين)

قراءة على رائعة الشاعر الكبير مظفر النواب

قراءة: كاظم الخليفة

يا لهذا الكائن الهلامي المسمى "عشقا"،

والذي يتأبى على التجسيد ويصعب وصفه، يبتعد كثيرا كلما أقتربت منه بمسافة تكون قادرا على إمساك جزء يسير منه. يجبرك أن يتبدل فيك كل شيء: تستعير الوردة لتصبح "موشورا" زجاجيا لتصل إلى طله، وتستبدل كلمات معجمك اللغوي وما أكتنزته من مفردات وصور تعبيرية ولغة مجازية... وعندما "تلثغ" وتصدر أصواتا هي هجين من لغة العصافير وصوت الريح التي تطرق نافذتك بلطف في يوم ربيعي معتدل، عندها تسترعي انتباهه ويقبل إليك.

لحظتها تكون قد ولجت عتبة العرش، وحطوت برشة ماء مقدس على خافك لتصبح بداية موجات من النشوة لا تتأثر بمرور "قمر" آخر يتقاطع مع أفقك وموقعك من المجرة فتنسب مشاعرك بهدهة نسائم الحب الأبدية. بعدها لن يطرق الحزن بابك.. ذلك ما يقوله لك مظفر في قصيدته:

"مو حزن"

لكن حزين..!

مثل ما تنقطع

شتلة ياسمين" !

كيف للمطر أن يقتل، وهل يملك تلك المقدرة، وأية أداة حادة يملكها؟ هو رحمة مطلقة لا تشوبها عواقب الحقد وشهوة الإنتقام! لكن عندما تنهمر شلالات الشوق وتصبح جامحة، هنا تهدر العواطف فجأة وتتحول إلى إعصار مدمر داخل النفس الوالهة؛ فهو الياسمن الذي ينسحق بفعل الشوق. ساعتها لن ينتابك الحزن، بل شيء من الخدر اللذيذ.

\*\*\*

"مو حزن .. لكن حزين

مثل صندوق العرس

ينباع خرقة عشق

من تمضي السنين" !

أن تمسي مشاعر الحب التي كانت يوماً ما يانعة وقد تهللت بفعل الزمن، وأصبحت كفائن يخلوا من القيمة يمكن الاستغناء عنه! هو حزن لا يشابهه أي حزن على فقد الأشياء والتخلي عنها طواعية. هو لون من الإفاقة البسيطة وسط زلزال تحسبه كابوساً! لا يشبه الحزن أيضاً.

\*\*\*

"انا قتلك؟

مو حزن لكن .. حزين !!

مثل بلبل قعد متاخر

لقى البستان كلها بلاية تين

مو حزن لامو حزن لامو حزن لكن

احبك من كنت يا اسمر جنين".

أن تصحوا فجأة على واقع يخلوا من الحب، هو شيء يتعدى مفردة الحزن بمفهومها العادي المعبر عنه دائماً في حالة التباين بين الواقع والمآل، وليس أيضاً حزن فيضان المشاعر الجارفة بشوقها اللذيذ، وليس خدر الحب الذي لا يعي الأشياء كما تبدو على حقيقتها. هو شبهة القتل العمد كما يأولها الشاعر. وكأنه ارتبط وجوده بالعشق منذ الأزل وعندما كانا "أجنة"، أي في (عالم الذر) وقبل الولادة، لذلك يأتي موته الروحي بزوال ذلك الرابط.

\*\*\*

"خذني يا بحر

خذني خشية

خذني والبحارة لو نسيوك كلهم

ما نسينك

الخشية عاشت عمر طيب

عشقت كل المخاطر

عانت .. مشيت بوجه الريح

لكن ماكسرها

وصارت تسافر وحدها

بلا اتجاه !

وارجع احط خدي على خدك

يا بحر

خشبه وبحر

خشبه .. خشبه وكلش حزينه

خشبه لكن حيل

اهيب من سفينه

ما بكيتك"

بعد يقينه من الموت المعنوي وفناء العشق، يتحول الشاعر هنا إلى راثٍ يتغنى بمصابه. ويتوقف عن مخاطبة الحبيب بعد يأسه، إلى التوجه نحو العشق ككائن يشبهه بالبحر في خطرته وغدره. يستسلم بكامل إرادته، ويتحول إلى تابوت خشبي على سطح مائه يوجهه إلى حيث يريد، بعد أن كف عن المقاومة وعن البكاء أيضاً.

\*\*\*

" فارقت انت السفينه

وانا جايبلك بحر . . !

جيتلك طوفان الحلم

حلم منذور بغياب الشمس

فارقت حلم الناس

ومليت السفينه والسفر ؟

ما بكيترك

انا بكتني السفينه !

منين ما طش الرذاذ .. تريد تبحر !

تدري نوبات السفن لو صاق خاطرها بجبن قبطانها

تسافرو حدها وبلا تجاه !

انا ما بكيترك

انا بكتني السفينه " ! ؟

لن أٌعيق تدفق النص ومشاعر الحب، فقط سأكرر هذا البيت كختم لهذه القراءة:

فارقيت انت السفينه

وانا جايبلك بحر . . !

لحظتها تكون قد ولجت عتبة العرش، وحطوت برشة ماء مقدس على خافك لتصبح بداية موجات من النشوة لا تتأثر بمرور "قمر" آخر يتقاطع مع أفقك وموقعك من المجرة فتنسب مشاعرك بهدهدة نسائم الحب الأبدية. بعدها لن يطرق الحزن بابك.. ذلك ما يقوله لك مظفر في قصيدته:

"مو حزن

لكن حزين ..!

مثل ما تنقطع

جوا المطر

شتلة ياسمين" !

كيف للمطر أن يقتل، وهل يملك تلك المقدرة، وأية أداة حادة يملكها؟ هو رحمة مطلقة لا تشوبها عواقب الحقد وشهوة الإنتقام! لكن عندما تنهمر شلالات الشوق وتصبح جامحة، هنا تهدر العواطف فجأة وتتحول إلى إعصار مدمر داخل النفس الوالهة؛ فهو الياسمين الذي ينسحق بفعل الشوق. ساعتها لن ينتابك الحزن، بل شيء من الخدر اللذيذ.

\*\*\*

"مو حزن .. لكن حزين

مثل صندوق العرس

ينباع خردة عشق

من تمضي السنين" !

أن تمسي مشاعر الحب التي كانت يوماً ما يانعة وقد تهللت بفعل الزمن، وأصبحت كفائض يخلوا من القيمة يمكن الاستغناء عنه! هو حزن لا يشابهه أي حزن على فقد الأشياء والتخلي عنها طواعية. هو لون من الإفاقة البسيطة وسط زلزال تحسبه كايوساً! لا يشبه الحزن أيضاً.

\*\*\*

"انا قتلك؟

مو حزن لكن .. حزين !!

مثل بلبل قعد متأخر

لقى البستان كلها بلاية تين

مو حزن لامو حزن لامو حزن لكن

احبك من كنت يا اسمر جنين".

أن تصحوا فجأة على واقع يخلوا من الحب، هو شيء يتعدى مفردة الحزن بمفهومها العادي المعبر عنه دائماً في حالة التباين بين الواقع والمآل، وليس أيضاً حزن فيضان المشاعر الجارفة بشوقها اللذيذ، وليس خدر الحب الذي لا يعي الأشياء كما تبدو على حقيقتها. هو شبهة القتل العمدم كما بأولها الشاعر. وكأنه ارتبط وجوده بالعشق منذ الأزل وعندما كانا "أجنة"، أي في (عالم الذر) وقبل الولادة، لذلك يأتي موته الروحي بزوال ذلك الرابط.

"خذني يا بحر

خذني خشبة

خذني والبحارة لو نسيوك كلهم

ما نسينك

الخشبة عاشت عمر طيب

عشقت كل المخاطر

عاندت .. مشيت بوجه الريح

لكن ما كسرها

ومارت تسافر وحدها

بلا اتجاه !

وارجع احط خدي على خدك

يا بحر

خشبه وبحر

خشبه .. خشبه وكلش حزينه

خشبه لكن حيل

اهيب من سفينه

ما بكيته"

بعد يقينه من الموت المعنوي وفناء العشق، يتحول الشاعر هنا إلى راثٍ يتغنى بمصايبه. ويتوقف عن مخاطبة الحبيب بعد يأسه، إلى التوجه نحو العشق ككائن يشبهه بالبحر في خطره وغدره. يستسلم بكامل إرادته، ويتحول إلى تابوت خشبي على سطح مائه يوجهه إلى حيث يريد، بعد أن كف عن المقاومة وعن البكاء أيضاً.

\*\*\*

" فارقت انت السفينه

وانا جايبك بحر . . !

جبتلك طوفان الحلم

حلم منذور بغياب الشمس

فارقت حلم الناس

ومليت السفينه والسفر؟

ما بكيته

انا بكتني السفينه !

منين ما طش الرذاذ . . تريد تبحر !

تدري نوبات السفن لو صاق خاطرها بجبن قبطانها

تسافرو حدها وبلا تجاه !

انا ما بكيك

انا بكتني السفينه " ! ؟

لن أُعيق تدفق النص ومشاعر الحب، فقط سأكرر هذا البيت كختم لهذه القراءة:

فارقيت انت السفينه

وانا جايبلك بحر . . !